علم الكلام والتحولات الجديدة

المدرس الدكتور
عادل زامل عبد الحسين الزريجاوي
معهد إعداد المعلمين في النجف الأشرف

علم الكلام والتحولات الجديدة

المدرس الدكتور
عادل زامل عبد الحسين الزريجاوي
معهد إعداد المعلمين في النجف الأشرف

المقدمة

امتازت العقيدة الإسلامية بقدرتها على انتزاع الإنسان من عالمه الوثني الطقوسي القلق، إلى أفق رحب تتفاعل فيه العقيدة مع الحياة، ليفرز ذلك التفاعل مجتمعاً يتمثل القيم الإنسانية ويعيشها ممارسة يومية، ويتخذ من المبادئ الرسالية مرجعية أخلاقية تساهم في بناء شخصيته، وتمنحه قدرة كافية على اقتحام الصعاب وتحقيق الإنجازات الكبيرة على صعيد الفتوحات الرسالية، وسرعة التفاعل الواسع بين العقيدة الإسلامية والنفس البشرية، يعود إلى انسجام المفاهيم العقائدية مع الفطرة الإنسانية، فنجد أخطر مفاهيم العقيدة، وهو مفهوم الله ووجوده والإيمان به، قد تفاعل معها الإنسان المؤمن بصدق من وحي الفطرة، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[1]، وقد أكدت الآيات القرآنية هذه الفطرة، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات[4].

ولم تدر حول تلك العقيدة نوازع من الشكوك، حتى تمددت الرسالة إلى خارج حدود الجزيرة العربية، لتلتقي بشعوب كانت موطناً للعقائد والأفكار والفلسفات الإلحادية، وعلى الرغم من أن الإسلام استطاع أن يذيب الأجسام

الغريبة عن فضائه الفكري والثقافي ويعيد صيغتها وبنائها، إلا أن الخلفية الثقافية لتلك الشخصيات ظلت تختزن أفكار وفلسفات أخرى عن الكون والحياة قد ترسبت في لا وعيها، وأخذت تطفح على شكل تساؤلات وشكوك بسيطة، فاقتضت الحاجة إلى توضيح العقيدة والدفاع عنها، وهو موضوع ما يسمى بعلم أصول الدين، قبل تبلور مصطلح علم الكلام، وتصدى الرواد الأوائل من المسلمين إلى شرح مفاهيم العقيدة الإسلامية والذب عنها، فكان قدم السبق للإمام علي عليه السلام في الرد على الشبهات وإغناء الفكر العقائدي بمفاهيم كفيلة بترسيخ العقيدة وتجذيرها في نفوس معتنقيها[٥]، وقد احتفظت لنا كتب التأريخ والحديث بنماذج كثيرة من مناظرات الأمام علي عليه السلام، أو بعض أصحابه مع الملحدين[٦]، وجاء أثر الإمام الصادق عليه السلام ليُفحم الزنادقة والدهرين ويُفند كل ما لديهم من ادعاءات واهية حول العقيدة[٧]، ثم دخلت العقيدة مرحلة أكثر تعقيداً في ضل الحكم الأموي المستبد، وعندما انشطرت الجبهة الداخلية للمسلمين بعدد الآراء المطروحة حول مسألة فاعل الكبيرة وهل هو مؤمن أم كافر، وظهور المعتزلة رأياً فكرياً على الساحة، وبعد ذلك تلاحقت المسائل الخلافية حول بعض مفاهيم العقيدة، كمسألة خلق القرآن، وهل أن كلام الله قديم أم حادث، فكانت إذاناً بتشكيل الفرق الكلامية فكرياً وسياسياً في أن واحد، لاسيما أن الحكومات الجائرة أخذت تغذي الانقسام العقائدي، فكان لها أثر كبير في تأسيس الفرق الكلامية خدمة لمصالحها السلطوية، وفي الظروف المستجدة بدأ يتبلور علم الكلام كعلم استأثر باهتمام جميع المسلمين، وربما لم ينافسه علم آخر، فتولى المتكلمون بيان مفاهيم ومفردات العقيدة الإسلامية والدفاع عنها.

أن هذا العرض التأريخي المركز، يكفي للتعرف على أثر علم الكلام على الساحة الإسلامية، وبالخصوص في حقل العقيدة، أما اليوم وفي ضل هذا الظرف الراهن في حياة الأمة الإسلامية وما يتعرض له الدين من هجمة شيفونية عنصرية مدمرة، تهدف إلى القضاء على هذا الدين الحنيف والإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم،

ولاسيما في زمن التطور العلمي الذي أصبح فيه العالم كقرية صغيرة، وخصوصاً ما تلعبه الفضائيات من أثر كبير في إثارة الشبهات والإلحاد وتشكيك المسلمين في دينهم، والإساءة إليهم من خلال الرسوم والإشارات والمقالات، لذا أصبح لزاماً على المتخصصين التصدى لهذه الشبهات المثارة من قبل الملحدين، الوافدة من خارج حدود الدولة الإسلامية عن طريق الترجمة أو غيرها، وذلك من خلال إغناء الفكر العقائدي بالأدلة والبراهين التي تتماشى مع الثورة العلمية والأفق الواسع، لغرض تثبيت أركان العقيدة الإسلامية فكرياً أمام تلك الهجمات، وهذا ما دعاني للبحث هذا الموضوع، الذي اشتمل على: تعريف علم الكلام، وأسمائه وأسبابها، وعلم الكلام القديم ومآخذه، وتجديد علم الكلام، وتأسيس علم الكلام الجديد وأزمنته، ومحاسنه، وموضوعه، ورسالته، والخاتمة التي تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج و أفكار.

تعريف علم الكلام:

بالعودة إلى كلمات علماء المسلمين وما بذلوه من جهود كلامية، في أثبات عقائد الإسلام، وتقديمها في بناء منطقي متماسك، وتوفير الحماية لها من شبهات الآخرين، نكاد نخرج بمحصل واحد في تحديد تعريف علم الكلام من جهة الهدف والموضوع والمنهج، فعلم الكلام في نشأته انطلق ليمثل العلم الذي يمكن بوساطته إثبات العقائد الدينية والإمانية، بإيراد الحجج ودفع الشبهات، أو بحسب تعبير المعلم الثاني أبي نصر الفارابي: ((الكلام صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها من الأقاويل))[٨]، وأوضح منه تعبير ابن خلدون، الذي قال فيه : ((هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأداة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة))[٩]، وعند العودة إلى عَلَمين

بارزين هما : القاضي الأيجي، وسعد الدين التفتازاني، فلا نجدهما يخرجان في تعريفهما للكلام عن الدائرة ذاتها، قال الأيجي: ((الكلام علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة))[١٠]، أما التفتازاني فقال: ((الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية))[١١].

إن الجهود النظرية والعقلية التي بذلها المسلمون في إثبات عقائدهم والاستدلال عليها منطقياً، وتقديمها في نطاق منظومة نظرية منطقية منسجمة ومتماسكة، يدخل في صميم علم الكلام، وتدخل فيه بُنية العلم والجهود النظرية والمنطقية والسجالية، التي تُبذل للدفاع عن العقيدة ضد ما يُثار حولها من شكوك وشبهات بين المسلمين في الداخل، مضافاً إليها الشكوك والشبهات الحضارية والفكرية والمنهجية التي تصب تأثيرها من خارج التربية الإسلامية، وهكذا تكاد تستقر صورة علم الكلام في المهمة التي ينهض بها على أداء الوظائف التالية:

١- إثبات العقائد الإسلامية وإحراز العلم بها بالأدلة اليقينية.

٢- عرض عقائد الإسلام بصيغة منظومة فكرية برهانية متماسكة ومنسجمة.

٣- التصدي للأسئلة والشكوك والشبهات التي تصدر من الداخل، أو تلك التي تأتي من الخارج.

ويبدو أن المُحْدَثين- لاسيما من يجري منهم على منهج السلف في التعاطي مع علم الكلام- لا يختلفون مع من سبقهم في تعريف هذا العلم، إذ قال أحد المعاصرين: ((علم الكلام هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها))[١٢].

أسماء علم الكلام وأسبابها:

تداول الباحثون أسماء عدة لعلم الكلام أهمها: الفقه الأكبر، وعُرفت هذه التسمية عن الفقيه أبي حنيفة، لأن النظر في أحكام الدين وعقائده كان يسمى فقهاً، ثم خُصت الاعتقادات بإسم الفقه الأكبر، فيما خُصت العمليات بإسم

الفقه الأصغر[١٣]، وسماه الشهرستاني علم الأصول، بعد استناده لقول بعض المتكلمين: بأن الأصول معرفة الباري تعالى بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم[١٤]، فكل مسألة يتعين فيها الحق بين المتخاصمين فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسماً إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصولياً، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعياً، فالأصول هي موضوع علم الكلام، والفروع هي موضوع علم الفقه، وسمي علم أصول الدين، لأنه العلم الذي يدور حول بيان أصول الدين الإسلامي، والاستدلال عليها والدفاع عنها، وقد عنون بعض المؤلفين أعمالهم بهذا الاسم، مثل الرازي، في كتاب (المحصل في أصول الدين)، وعبر عنه آخرون بعلم العقائد، ويعني العلم الذي يتكفل بمعرفة العقائد الإسلامية ويبرهن عليها، وهذا الاسم اتخذه جماعة عنواناً لمؤلفاتهم الكلامية، فأطلق الجويني، على كتابه (العقائد النظامية)، وأطلق النسفي، على كتابه (العقائد النسفية)، وأطلق عضد الدين الأيجي، على كتابه (العقائد العضدية)، كذلك أطلقوا عليه اسم علم التوحيد، بمعنى العلم الذي يجعل قضية التوحيد هي المحور ومنها تنبثق سائر المعتقدات، وهي تسمية الشيء بأشرف أجزاءه، وقد جعل الشيخ محمد عبده، هذا الاسم عنوان لكتابه في العقيدة (رسالة التوحيد)، وعبر عنه بعضهم بعلم الذات والصفات، حيث جعل الذات المقدسة وصفاتها هي ركيزة هذا العلم، وكل مباحثه ترجع إليها، لكن أشهر الأسماء المعروفة له هو علم الكلام، وقد أورد الدارسون اجتهادات شتى في تحليل مدلول هذه التسمية وتأريخ استعمالها[١٥]، وقد جمع التفتازاني أسباب تسمية هذا الفن بعلم الكلام، فذكرها وفق التسلسل الأتي[١٦]:

١- لأن عنوان مباحثه كان قولهم: الكلام في كذا وكذا.

٢- لأن مسائل الكلام كانت أشهر مباحثه، وأكثر نزاعاً وجدلاً، حتى أن بعض المتغلبة قتل كثيراً من أهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن.

٣- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، كالمنطق للفلسفة.

٤- لأنه أول ما يجب من العلوم التي تُعلم وتتعلم بالكلام، فأطلق عليه هذا الاسم لذلك، ثم خُص به ولم يطلق على غيره تمييزاً له.

٥- لأنه إنما يتعلق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

٦- لأنه أكثر العلوم خلافاً و نزاعاً، فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم.

٧- لأنه لقوة أدلته صار كأنه هو الكلام من دون ما عداه من العلوم، كما يقال للأقوى من الكلاميين: هذا هو الكلام.

٨- لأن ابتنائه على الأداة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية، أشد العلوم تأثيراً في القلب وتغلغلاً فيه، فسمي بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح.

وأضاف عبد الرازق مصطفى، احتمالين لما تقدم استظهرهما من الأحاديث والآثار، وذهب في الاحتمال الأول إلى أن تسميته بعلم الكلام جاءت من ((كون الكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يقولون، حيث ينبغي الصمت اقتداءً بالصحابة والتابعين الذين سكتوا عن المسائل الاعتقادية لا يخوضون فيها))[١٧]، أما الاحتمال الأخر فيُعيد منشأ التسمية إلى أن الكلام مقابل الفعل ((كما يقال: فلان قوال لا فعال، والمتكلمون قوم يقولون في أمور ليس تحتها عمل، فكلامهم نظري لفظي لا يتعلق به فعل، بخلاف الفقهاء الباحثين في الأحكام الشرعية العملية))[١٨]، ويبدو أن الاحتمال الأخير هو أقرب الوجوه إلى نشأة هذا العلم تأريخياً، لأن قضايا علم الكلام اكتسبت طابعاً نظرياً تجريدياً منذ ولادتها، وإن نشأ بعضها في أفق أسئلة أفرزتها التجربة العملية السياسية، كمسألة حكم مرتكب الكبيرة، وترسخت النزعة التجريدية في علم الكلام بمرور الزمن، وظلت على الدوام أحد الأسباب الأساسية لعجز علم الكلام وقصوره، عن الالتحام بواقع

المسلم، إلا أن بعض الباحثين يميل إلى أن سبب التسمية نشأ من الاحتمال القائل: لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه وأكثر نزاعاً وجدلاً، ويرى سائر الاحتمالات المذكورة لا تخرج عن كونها ((مماحكات لفظية لا معنى لها))[١٩]، ويبدو هذا القول وجيها، لولا أن مصطلح الكلام والمتكلمين قد ورد في بعض الآثار قبل احتدام الجدل حول كلام الله، ومن ثم تطورت هذه المسألة إلى ما عرف بخلق القرآن فيما بعد، وقد أشارت بعض النصوص التي تنتمي إلى ما يناهز منتصف القرن الثاني الهجري إلى هذه التسمية، ومنها ما ورد في قصة تردد ابن أبي العوجاء عن مناظرة الإمام الصادق عليه السلام لما جاء لمناظرته، فقال له الإمام عليه السلام: لماذا لا تتكلم؟ فأجاب بقوله: ((إني شاهدت العلماء، وناظرت المتكلمين، فما تداخلني هيبة قط مثلما تداخلني من هيبتك))[٢٠]، وهذا يدعو لاستبعاد ما ذكره أحمد أمين أيضا[٢١]، تبعا لصاحب الملل والنحل[٢٢]، من أن تسميت الكلام تأخرت عن نقل التراث الفلسفي اليوناني إلى العربية إلى أيام المأمون، لأن هذه التسمية شاعت في الحياة العلمية وأصبحت علماً لدى طائفة من الدارسين المهتمين بالشأن العقائدي، مثلما يحكي لنا النص المتقدم وغيره من النصوص، وقبل أن تترجم الفلسفة اليونانية.

علم الكلام القديم ومآخذه:

علم الكلام نشأ نشأة إسلامية صرفة، من دون أن يتأثر بالحضارات الأخرى، التي خالطت ثقافة المسلمين بعد الفتوحات وعصر الترجمة، إذ انبثق هذا العلم بقواعده الأولية قبل مرحلة الاحتكاك الفكري والثقافي مع الاتجاهات الحضارية الأخرى التي نفذت لحياة المسلمين، وأشار إلى هذه الحقيقة كثير من العلماء السابقين والباحثين المعاصرين[٢٣]، إذ قال أحدهم : ((علم الكلام أول عمل عقلي في النص الديني، فقد كانت مهمة المتكلم تحويل النص إلى معنى، والآية إلى فكرة، فكان الكلام أول محاولة للعثور على نظرية عقلية خالصة للنص

الديني، وقد تم تحويل ذلك بجهد داخلي خالص دون أدنى اتصال - على الأقل - في نشأة العلم بحضارات أخرى، إذ تم ذلك قبل عصر الترجمة بكثير))[٢٤]، إلا إن الإصرار على إسلامية النشأة لا يعني إنكار دور التفاعل الثقافي الآتي أساساً من الاحتكاك بالحضارات الأخرى، وما أفضى إليه من نمو الكلام ونضجه، ((وإذا كان الكتاب والسنة والحديث والعترة الطاهرة هي المنطلق لنشوء علم الكلام وظهوره بين المسلمين، فقد كان للاحتكاك الثقافي واللقاء الحضاري دور خاص في هذا المجال، وهو أنه دفع عجلة الكلام إلى الأمام وصار سبباً لنموه ونضوجه بين المسلمين بأقصر مدة))[٢٥]، ولولا هذا الصراع الفكري لما تمت تلك الجذور الطيبة، الكامنة في الكتاب والسنة وما استوت على سوقه، وعلم الكلام لم يبق على نقائه هذا، بل شهد في مسار تطوره لحظات تماس وصراع، أفضت إلى ضعفه واضطرابه تارة، وإلى قوته وغناه تارة أخرى، فعلى خط الصراع احتدمت مواجهات عنيفة بين المتكلمين من جهة، والفقهاء وأهل الحديث والصوفية من جهة ثانية، وعلى خط التماس حدثت صِلاة ونقاط التقاء بين الفلسفة والكلام، من خلال انخراط بعض الفلاسفة في موضوعات علم الكلام، أو تطور مسار بعض المتكلمين صوب الفلسفة، ومع كل ذلك كان هناك خلل منهجي، حيث يفترض أن البحث الكلامي يمثل ميلاً حراً لممارسة النظر العقلي والاستدلالي، بيد أن الحياة الإسلامية انغلقت بعد النبي ﷺ مباشرةً وبقرار سياسي من مؤسسة الخلافة على هذا اللون من البحث، في حين بقيت الأبواب مفتوحة لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام وتلامذتهم ومريدهم.

وعندما أملى الواقع الاجتماعي والثقافي والتطلع المعرفي لدى المسلمين، حاجة ماسة لممارسة الكلام، كانت السلطة المعرفية لا تزال بيد أهل الحديث

تدعمهم السلطة السياسية المتمثلة بالخلافة، لذلك لم ير المتكلمون مناصاً من أن يقرنوا الممارسة الكلامية بقيد، إرضاءً وتطميناً للسلطتين المعرفية والسياسية، فقيدوا البحث الكلامي بموافقة الشرع، أو أن يكون على قانون الإسلام بحسب التعبير الموروث، وذلك القيد على علم الكلام جنح به بعيداً عن مهمته في ممارسة الاستدلال على العقيدة نظرياً، أو بلوغ العلم بها من خلال الدليل والحجة، فالعلم بالعقيدة المراد إثباتها متحقق سلفاً، وبالتالي فهو لا يُثبت شيء، ولا يمارس الاستدلال حقيقة، ولا يركن لمواصفات البحث العقلي الحر، التي تفرض تسليم الباحث بنتيجة الاستدلال العقلي وقبولها أياً كانت، حتى لو جاءت مخالفة لمسلماته المسبقة، وحينئذ ((يكتسب مثل هذا الاستدلال جنبة صورية شكلية، ولا يُبقى للعقيدة التي يراد الاستدلال عليها، من أصل للإثبات سوى التقليد، بعد أن تحول الاستدلال إلى لعبة))[٢٦]، وعندما حاول الاتجاه العقلي الفلسفي في الحياة الإسلامية أن يعترض على هذه الرؤيا، برفع قيد موافقة الشريعة، والنزول على قانون الإسلام، احتدمت معركة بين الفلاسفة والمتكلمين، كسبها الخط الثاني الذي استطاع أن يكسب عواطف الجمهور ضد الفلاسفة، وأن يدخل في تحالف مع السلطة المعرفية والسياسية، علماً بأن الفلاسفة المسلمين لم ينكروا ما جاء عن النبيﷺأو ما جاء به القرآن، وإنما انسجما منهجياً مع طريقة البحث العقلي الحر، حين رفعوا قيد الموفقة، ومع هذا فقد انتهوا إلى النتائج العقائدية ذاتها التي يؤمن بها المتكلمون وجمهور الأمة، إذ لم نعرف في تأريخ المسلمين فيلسوفاً قادته فلسفته إلى الكفر وإنكار أصل من أصول العقيدة أو ضروري من ضروريات الدين، فضلاً عن أن لا يعتقد بشيء من دين الإسلام، كما نعت بذلك السبكي، الفارابي، وابن سينا[٢٧].

ولم تقتصر مشكلة علم الكلام على تلك الثغرة المنهجية، التي رأى فيها بعض المعاصرين هدماً للكلام نفسه، ناتجاً عن خلل كبير في المقدمات، وفساد عميق وافق نشأته، فعلم الكلام ((وإن كان في نفسه فناً شريفاً، إلا أنه يستبطن في

قواعده التأسيسية وجذوره الأولى التي قام عليها فساداً عميقاً، برز أثر القصور أو التقصير الذي رافق تنظيم مباحث هذا العلم منذ اليوم الأول)) [٢٨]، فهناك وجه أخر في أزمة علم الكلام الإسلامي منذ نشأته في الحياة الإسلامية العامة، إذ أنه درج على تنظيم الواقع القائم ومجاراته في مستواه المعرفي، ولم ينتج معرفة جديدة، تأتي أعمق كيفاً عن المستوى السائد لدى جمهور المسلمين تقريباً، وهذا المنحى يُعرف بعرفنة الكلام ومماشاته لمستوى الأفكار المتداولة بين عامة الناس، وفرضها على أنها معارف الإسلام وحقائقه العلمية، مما أفضى إلى تبعات خطيرة حتى بتنا نصطدم في كتب الكلام بنظريات وأقوال يأسف العقل السليم لوجودها [٢٩]، وهذه النتيجة تترتب منطقياً على الثغرة المنهجية في منهج الاستدلال الكلامي، وموضوعياً على الأوضاع التي شهدها المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبيﷺ حيث منعت مؤسسة الخلافة البحث العقلي المنفتح، وأوكلت عقائد الأمة وتنميتها المعرفية، إلى سلطة المحدثين والفقهاء ممن لم يتجاوزوا كثيراً مستوى الفهم العام على صعيد أصول الدين.

وحين انطلق علم الكلام أخذ يمارس تنظيراً للأمر الواقع، ولاسيما وهو محاط بهواجس المحدثين والفقهاء ومخاوفهم، وشكوك السلطة، وبذلك لم يقدم علم الكلام الإسلامي برأي هؤلاء النقاد معارضة عالية على الصعيد المعنوي، بل ربما ساهم في تكوين صورة لمعارف الإسلام وعقائده، أقرب إلى التصوير الحسي والمادي منها إلى المعارف المعنوية العالية، وبالأخص في ممارسة بعض العقليات والمنهجيات التي ضاقت كثيراً حتى راحت تميل إلى بناء تصور عقائدي منقطع عن عالم المعنى، وأقرب ما يكون إلى الصورة الاجتماعية العرفية[٣٠]، ومن الوجوه الأخرى في أزمة علم الكلام: المبالغة في الإثبات والإفراط في التجريد النظري، والغيبوبة في الألفاظ وحشو المصطلحات، وإهمال واقع الإنسان المسلم في تكوينه النفسي وحالته المعنوية ووضعه الاجتماعي والسياسي، فكأن مشكلة المسلمين في بلادهم هي مشكلة إلحاد وإنكار لله، وجحود بالنبوة وبقية الأصول،

والحال أن الإيمان بهذه الأصول جميعاً متوافر على مستوى واسع، أما الغائب فهو تفعيل هذا الإيمان وتحويله إلى طاقة للعمل على مستوى الاستقامة السلوكية الفردية والاجتماعية، وإن الناظر إلى وجوه الأزمة هذه يجد أنها تستبطن نقديين: الأول للمنهج الاستدلالي، وربما مبانيه التي يقوم عليها أيضاً، والثاني نقد المجال الوظيفي من زاوية تكراره لشبهات الأقدمين، وكأنه ما يزال يعيش عصوره السابقة، ويعكس الحالات الاجتماعية لتلك العصور.

تجديد علم الكلام:

تبلورت النواة الأولى لعلم الكلام بما دار من جدل وتأمل في مدلولات بعض الآيات القرآنية المتشابهة، التي تتحدث عن الذات والصفات والقضاء والقدر، ثم اتسع بالتدرج فور التحاق النبي الكريمﷺبالرفيق الأعلى ليشمل مسائل أخرى، مثل الإمامة التي استأثرت باهتمام العقل الإسلامي حتى أضحت من أهم مسائل التفكير العقائدي في حياة المسلمين، وقد كان للحروب الداخلية أثر هام في طرح أسئلة جديدة تدور حول مرتكب الكبيرة، وخلق أفعال العباد، وحرية اختيار المكلف وغيرها، كما عملت الفتوحات على إدخال شعوب عدة في الإسلام من الكتابين والوثنيين، ولم تستطع حركة الدعوة العاجلة من تحرير وعي هؤلاء المسلمين من ترسبات أديانهم ونحلهم السابقة، فنجم عن ذلك شيوع مناخ فكري مضطرب يموج برؤى متقاطعة وسجالات صاخبة(٣١).

وفي هذا الفضاء الثقافي تشكل علم الكلام وانخرط في دراسته وتدريسه والتأليف فيه قطاع كبير من علماء المسلمين، منذ نهاية القرن الهجري الأول، وبلغ ذلك ذروته في القرن الرابع الهجري، وصار تنوع الأقوال في علم الكلام هو الأساس لوجود الفرق والاتجاهات المختلفة في الإسلام(٣٢).

وقد تحكمت في علم الكلام ونشأته وتطوره مجموعة ظواهر سياسية واجتماعية وثقافية، كانت سائدة في المجتمعات الإسلامية آنذاك، فأمدت عقل

المتكلم بعناصر وأدوات خاصة، هي نتاج تلك البيئة، فتكررت في المؤلفات الكلامية الأفكار والأنماط والموضوعات، ودخل هذا العلم مساراً مسدوداً يبدأ دائماً من حيث انتهى، وينتهي من حيث بدأ، من دون أن يتقدم في حركته خطوة إلى الأمام، ومع وفرة ما أُلف في هذه الحقبة، غير أنه لم يكن سوى شروح وهوامش على المتون التقليدية، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى دراسة علم الكلام من جديد، وبطريقة حضارية متقدمة، فليس لعلم الكلام الجديد تعريف مستقل وجديد، بل يندرج في نطاق التعريف المتداول الذي ذكره المتكلمون المسلمون السابقون لعلم الكلام، وما ينطوي عليه من وظائف وفوائد، فهو علم يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية[٣٣]، والعارفون بعلم الكلام الجديد يدركون أن في هذا العلم مدارس مختلفة، ومناهج متفاوتة تُستخدم لعرض الآراء الكلامية والعقائد الدينية وتوجيهها والدفاع عنها، بحيث لم يحصل قط أن أجمع المتكلمون الجدد على منهج واحد خاص ومحدد، وحبسوا أنفسهم في نطاقه، ويمكن استخدام مناهج مختلفة في عرض المسائل الكلامية، كما يمكن الإفادة من معطيات العلوم التجريبية والاجتماعية، وقد اتسعت الدائرة التي يعترك فيها علم الكلام مع الشبهات اتساعاً كبيراً، تبعاً لظهور شبهات جديدة ومتنوعة في المجتمعات البشرية ترتبط بالاعتقادات الدينية، مما دفع علم الكلام أن يخطو صوب أودية جديدة، وبذلك يتضح أن أحد أبعاد التجديد في علم الكلام وصيرورته علماً جديداً، يرتبط بظهور ميادين صراع جديدة والتحامه في معركة مع الأفكار المعارضة والمهاجمة، وقد ظهرت تحديات جديدة ضد الدين في عالمنا، كان على علم الكلام أن يتصدى لها وينهض بمهمة الدفاع عن الدين[٣٤]، فإن الحركة والتجديد أساساً في ذات علم الكلام وبنيته، بيد أن التجديد في علم الكلام لا ينحصر في هذا البعد وحده، فهناك فروق للكلام الجديد عن الكلام التقليدي، بلحاظ المبادئ والتصورات والمفاهيم المستخدمة في هذا النوع من العلم، وظهور نظريات جديدة في العلوم المختلفة، ترك تأثيرها على الفروض المسبقة وصيغ

الفهم والتلقي شئنا ذلك أم أبينا، فلم يعد ما نترقبه من العلم، الدين، الله، الإنسان، وغير ذلك ثابتاً على ما كان عليه بشكل كلي، والمتكلم المعاصر لم يعد يفكر بذات الرؤى والفروض المسبقة التي كان ينطلق منها المفكرون السابقون[٣٥]، وقد أدى ظهور المسائل الكلامية الجديدة إلى تجدد مسائل علم الكلام، فراحت مسائل أخرى تشغل ذهن المتكلم المعاصر، تختلف اختلافاً كاملاً عن المسائل الكلامية القديمة، ويتجلي بعد أخر من أبعاد التجديد في علم الكلام وصيرورته علما جديدا، وذلك بظهور المناهج المستحدثة واستخدامها في عرض المسائل الكلامية وبيانها، والحقيقة أن علم الكلام لم يبقى ثابتاً على مستوى المنهج، وإنما طرأت عليه تحولات كبيرة، وبالتالي صارت منهجية العلم عرضة لتحولات جادة وأساسية، كما تغيرت لغة علم الكلام وكيفية بيان المباحث والنقاط والمطالب عما كانت عليه في الماضي، فلغة المتكلمين الجدد المتمثلة بطريقتهم في الكتابة والتأطير المفاهيمي والتعبير عن ذلك، وأسلوب عرض المسائل الكلامية، أصبها التجدد والتغيير من جهات كثيرة[٣٦].

كما أن علم الكلام يتغذى في الكثير من الجهات من العلوم الأخرى، وهو دائماً في علاقة تفاعل معرفي معها، فالتجدد الذي يطرأ على العلوم البشرية لا بد أن تنعكس آثاره على علم الكلام بحيث تكون بعض أصول هذا العلم وأركانه وبحوثه عرضة للتجدد والتحول أيضاً، وإن كان لا يمكن ادعاء الشمولية والكلية في هذا المضمار، والحاصل أن علم الكلام الجديد متمايز عن علم الكلام القديم في الفروض المسبقة التي تتحكم بالمتكلم، والمبادئ التي ينطلق منها، وله وظائف عدة جديدة، منها معارضة أو مهاجمة المعارضين للدين[٣٧].

تأسيس علم الكلام الجديد وأزمنته:

إن القول بوجود فرد واحد مؤسس لهذا العلم قولاً يقفز على حقائق التأريخ، ويجهل المدلول الحقيقي لتجديد علم الكلام، ذلك أن حركة التجديد

مخاض عسير وولادة شاقة، لم تبلغ غايتها بقرار تصدره مؤسسة أو فرد، أو خطبة حماسية تصدر من مرجع علمي، أو مقال أو كتاب ينشر، وإنما هي مجموعة فكرية وعملية جريئة تنطلق في بيئة تتوافر على العناصر والمقومات الضرورية لغرس الفكرة ونموها، وليس تجديد علم الكلام بدعاً من ذلك، وإنما هو مشروع تضافرت في احتضانه وتطويره مبادرات وجهود فكرية وعملية، أسهم فيها رجال كثيرون من أعلام المسلمين في العصر الحديث، وإن كان أثر الريادة يبقى نصيب عدد محدود منهم.

ويبدو أن مصطلح علم الكلام الجديد، ظهر للمرة الأولى كعنوان لكتاب ألفه العالم الهندي شبلي النعماني في عام (١٩١٤م)، ثم طبع في طهران (سنة ١٩٢٠م)، بالعنوان نفسه، إلا أن هذا لا يعني الجزم بأن شبلي النعماني هو أول من نحت هذا المصطلح الذي أضحى عنواناً للاتجاه الحديث في إعادة بناء علم أصول الدين، لكنه من أوائل الداعين إلى تجديد علم الكلام، بغية الرد على الشبهات الحديثة، والدفاع عن الشريعة المقدسة، فقد ذكر في مقدمة كتابه هذا: ((أن علم الكلام القديم يُعنى ببحث العقائد الإسلامية، لأن شبهات الخصوم كانت ترتكز على العقائد فقط، بينما يجري التأكيد هذا اليوم على الأبعاد الأخلاقية والتأريخية والاجتماعية في الدين، وتتمحور الشبهات حول المسائل الأخلاقية والقانونية من الدين، وليس حول العقائد، فإن الباحثين الأوربيين يعتبرون الدليل الأقوى على بطلان الدين، هي مسائل تعدد الزوجات والطلاق، والأسرى والجهاد، وبناءً على ذلك سيدور البحث في علم الكلام الجديد حول مسائل من هذا القبيل، حيث تعتبر هذه المسألة من اختصاص علم الكلام الجديد)) [٣٨]، ولذا أدرج النعماني في هذا الكتاب مسائل جديدة مثل، حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والإرث، والحقوق العامة للشعب، بجوار مباحث وجود الباري، والنبوة، والمعاد، والتأويل، وغير المحسوسات كالملائكة والوحي وغيرها، والعلاقة بين الدين والدنيا، ثم أصدر المفكر الهندي المسلم محمد إقبال، كتابه (تجديد الفكر

الديني في الإسلام)، في (عام ١٩٤٠م)، واستطاع العالم الهندي المسلم وحيد الدين خان فيما بعد، وصل ما بدأه محمد إقبال من قبل، فأصدر كتابه (الإسلام يتحدى)، في (عام ١٩٦٤م)، وأوضح في مقدمته المبررات التي دعته لتأليف كتابه هذا، فشدد على ضرورة التحرر من منهج علم الكلام القديم ((لأن طريقة الكلام وأسلوبه قد تغيرت بتغير الزمن، ولذلك علينا أن نأتي بعلم كلام جديد، لمواجهة تحدي العصر الحديث)) [٣٩]، فكان هذا الكتاب إنجازاً رائداً في تشييد علم الكلام الجديد، إلا أنه ظل مهملاً في المشرق الإسلامي فلم يهتم به الباحثون، مع أنه ترجم إلى العربية ونشر قبل ثلاثين عاما، وبعد ذلك بسبعة أعوام أصدر وحيد خان كتابه الكلامي الثاني (الدين في مواجهة العلم)، في (عام ١٩٧١م)، وأردفه بدراسة أعدها بعنوان (نحو كلام جديد)، وألقاها في ندوة تجديد الفكر الإسلامي، التي أعدتها الجامعة العلمية الإسلامية بدلهي في (١٩٦٧/٩/٢٧م)[٤٠].

وقد صدر في طهران (عام ١٩٥٦م)، كتاب بعنوان: (أربع مقالات في الفلسفة أو الكلام الجديد)، تأليف جواد تار، غير أن مباحث هذا الكتاب لا علاقة لها بعلم الكلام الجديد، وإنما يحتوي الكتاب على أربع مقالات، بحث المؤلف في الأولى منها: الوجود، فيما تحدث في الثانية عن وحدة الوجود وعلاقة الوجود بالماهية، وفي الثالثة يدور بحثه حول الحق والحكم، وفي الأخيرة ذكر الأدلة على عودة الأرواح، وقد تبلور في إيران اتجاه جديد في التفكير الكلامي يتجلى بوضوح في أثار العلامة محمد حسين الطباطبائي، وتلميذه الشهيد مرتضى مطهري، فقد سعى الأخير حثيثاً إلى إرساء أسس منهجية لتجديد علم الكلام، وكتب تصوراته بشأن تلك الأسس، كما اهتم بترسيم مفهوم علم الكلام الجديد، ولذا تعاطى هذا المصطلح في أثاره، ففي سياق بحثه لوظيفة علم الكلام، يحدد مطهري وظيفتين له، تتمثل الأولى: في دحض الشبهات الواردة لأصول الدين وفروعه، والثانية: في بيان الأدلة على أصول الدين وفروعه، ثم يشير إلى

اقتصار علم الكلام القديم على هاتين الوظيفتين، مما يعني غيابه عن الشبهات المستجدة في عصرنا، فظلاً عن أن الشبهات الماضية أمست بلا موضوع في هذا العصر، كما وفر التقدم العلمي الكثير من الأدلة والبراهين الجديدة التي لم يعهدها العقل سابقاً، فضلا عن أن الكثير من الأدلة المتداولة بالأمس فقدت قيمتها، من هنا يشدد مطهري على لزوم تأسيس علم كلام جديد[٤١].

أما عند الباحثين العرب، فقد ذكر مصطلح علم الكلام الجديد، فهمي جدعان عام (١٩٧٦م)، في كتابه (أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث)، في الفصل الرابع الذي عقده للحديث عن التوحيد والتحرر، وبواعث التفكير الكلامي الجديد لدى بعض المفكرين المسلمين المُحْدَثين، الذين ((راحوا يبحثون عن علم كلام جديد، يكون للتوحيد فيه وظائف جديدة، ويكون علماً محرراً للإنسان، وعلماً صافياً من الشوائب والأكدار)) [٤٢]، وفي ضوء هذا العرض الموجز لا ينبغي أن تُمنح براءة تحديث علم الكلام لرجل واحد، لأن رواد الإصلاح أسهموا جميعاً في إعادة بناء هذا العلم، فمنهم من عمل على تحديث المسائل، وغيره عمل على تحديث المباني، وثالث على تحديث اللغة، ورابع أسهم في كل منها بنصيب.

أما ما نعنيه بأزمنة الكلام الجديد، فهي تلك الفترة التي تتسم الآثار الكلامية فيها بسمات مشتركة تتميز بها عن الأعمال السابقة واللاحقة، وهذه الأزمنة هي:

١- إحياء علم الكلام وتأسيس المعتقد على العقل والعلم: ويمكن أن نؤرخ لهذه الفترة بالنصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي حتى نهاية الربع الأول من القرن العشرين، ومما تميزت به هذه الفترة، الدعوة لإحياء علم الكلام، ببعث شعب الإيمان الساكنة في النفوس عبر التذكير بأصول الدين، والموعظة بوازعه ودافعه، وإيقاظ الفكر من حالة السبات، وإثارة طاقات الحركة والدعوة لإصلاح الأفكار الفاسدة، وتطهير وجدان الأمة من الخرافات، وتأكيد أثر العقل والعلم كرافدين رئيسيين لتغذية المعتقد[٤٣]، وأهم أعلام

هذه الفترة هم: جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، وشبلي النعماني، وهبة الدين الشهرستاني، وحسين الجسر، ومحمد جواد البلاغي وغيرهم.

٢- تجديد علم الكلام والتأسيس الفلسفي له: وتبدأ هذه الفترة بجهود المفكر الهندي المسلم محمد إقبال، خاصة محاضراته الست التي ألقاها في مدارس في الهند (عام ١٩٢٨م)، ثم أتمها بعد ذلك، وصدرت فيما بعد في كتابه الشهير (تجديد الفكر الديني في الإسلام)، وتمتد هذه إلى الفترة لتشمل الكتاب المشهور لمالك بن نبي (الظاهرة القرآنية)، الذي صدر للمرة الأولى باللغة الفرنسية في باريس (عام ١٩٤٦م)، ودرس مالك فيه التجربة الدينية، وظاهرة الوحي، والمعجزة، دراسة مبتكرة معمقة، و(كتاب بحوث ممهدة لدراسة الأديان)، لمحمد عبد الله دراز، الذي أصدره (عام ١٩٥٢)، وعالج فيه معالجة تحليلية دقيقة الفكرة الدينية من الوجهتين الموضوعية والنفسية، والعلاقة بين الدين والأخلاق والفلسفة وسائر العلوم، ونزعة الدين وأصالتها في الفطرة، ونشأة العقيدة الدينية، وبعبارة أخرى تناول الكثير من مباحث ما يعرف بفلسفة الدين بأسلوب منهجي تحليلي، ومن الكتب التي اشتهرت في هذه الفترة أيضا كتاب (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي)، لمحمد حسين الطباطبائي، والتعليقات عليه لتلميذه مرتضى مطهري، وقد صدر الجزء الأول منه (عام ١٩٥٣م)، وهذا الكتاب وإن كان فلسفياً انصب البحث فيه على بيان مسائل المعرفة والإدراك، وتفسير حقيقة المعرفة البشرية ومصادرها وحدودها، لكنه جاء ليقرر جملة من المرتكزات والقواعد الأساسية في الفلسفة الإسلامية، وينطلق منها لمحاكمة الاتجاه التجريبي في الفلسفة الأوربية، والفلسفة المادية، والمادية الديالكتيكية منها بالذات، التي غزت العالم الإسلامي حين ذاك، وفي (عام ١٩٥٩م)، صدر كتاب (فلسفتنا) لمحمد باقر الصدر، ويمثل هذا الكتاب محاولة جادة للتأسيس

الفلسفي لعلم الكلام، فإنه يعالج قضية المعرفة أولاً، ثم ينطلق منها لتحديد الرؤية الكونية للإسلام، وهذه الفترة شهدت انتقال علم الكلام من طور الإحياء إلى طور التجديد، فالإحياء يعني البعث والإيقاظ والإثارة، فيما يعني التجديد إعادة بناء علم الكلام وتطويره أي تكييفه لطور جديد من أطوار التأريخ يستجيب فيه لمتطلبات الحياة المتجددة(٤٤).

٣- التأسيس المنهجي لعلم الكلام: وتبدأ هذه الفترة من تطوير علم الكلام الجديد، بصدور كتاب (الأسس المنطقية للاستقراء) لمحمد باقر الصدر (عام ١٩٧١م)، وتستمر حتى اليوم، والسمة المميزة لهذه الفترة من عمر التفكير الكلامي، هي حدوث منعطف منهجي في مسار حركة علم الكلام، وللمرة الأولى يتحرر التفكير الإسلامي من قوالب المنطق الأرسطي، ويستند إلى منهج الاستقراء القائم على حساب الاحتمالات، بعد أن اكتشف الصدر مذهباً جديداً في تفسير نمو المعرفة وتوالدها، غير ما كان معروفاً في المذهبين التجريبي والعقلي، وأسماه (المذهب الذاتي للمعرفة)، وتوكأ عليه في تدوين (موجز في أصول الدين)، الذي جعله مدخلا لرسالته العملية (الفتاوى الواضحة)(٤٥)، وقد حصل في مرحلة لاحقة انفتاح على مناهج متنوعة في البحث الكلامي، فاستعان بعضهم بفلسفة العلم المعاصر في أوربا، وعمل على توظيف معطياتها في تحليل المعرفة الدينية(٤٦).

محاسن علم الكلام الجديد:

إذا أردنا أن نؤسس علم كلام جديد ينبغي أن نضع أمامنا الحالة المتقدمة لعلم الكلام الإسلامي القديم، لتفادي أخطاءه والنهوض بعلم كلام جديد، قادر على الاستجابة لتحديات العصر، وتحصين العقيدة بأدلة وبراهين عقلية وفلسفية تحميها من تخرصات الأعداء، وتحافظ على فاعليتها في نفوس العباد، وتطبع الحياة الاجتماعية بطابع توحيدي خالص، فالخطوة الأولى تبدأ بالمنهج، والخطوة

الأخيرة تعتمد إجراء إحصاءات واستبيانات ميدانية، نستكشف من خلالها مديات التفاعل بين الإنسان وعقيدته، وما بينهما من خطوات تخصص لدراسة العقيدة ونقد الفكر الديني بالمعنى الإيجابي للنقد، لتقويمه وانتزاعه من بعض الأفكار التي تشرنقت به فأعاقت حيويته وفاعليته، وهذا يتطلب العودة إلى القراءة المتقدمة لتحديد نقاط الضعف ووضع خطة لانتشال نقاط القوة إن وجدت، وهو ما قام به رواد الإصلاح ودعاة التجديد في علم الكلام، ابتداءً بالسيد جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ، ومروراً بمحمد إقبال الاهوري، ومالك بن نبي، وانتهاءً بمحمد باقر الصدر، ومحمد حسين الطباطبائي، و مرتضى مطهري.

إن الدعوة إلى علم الكلام الجديد لم تكن بنت هذه اللحظة كما قد يتوهم بعض، ولاسيما من الباحثين الإيرانيين الذين يذهبون إلى أن مرتضى مطهري، هو أول من دشن علم الكلام الجديد(٤٧)، إلا أن الواقع يثبت خلاف ذلك، وأن تأسيس علم الكلام الجديد يعود إلى ما قبل مائة عام من الآن وربما أكثر، فهناك من يشير إلى أن محمد عبده، ومحمد إقبال، مارسا العمل بهذا الاتجاه.

ثم أن هناك أصواتا نقدية ارتفعت في العالم العربي تحدثت بصراحة عن ضرورة تأسيس علم الكلام الجديد(٤٨)، وأياً ما كان المنبثق فإن الدعوة لعلم الكلام الجديد تقترن على قدر جاذبيتها بأسئلة جادة وحرجة، ربما تسلب في عمقها وجديتها متعة الحلم الجديد وجاذبية القول بالمصطلح، ففي نهاية المطاف يحتاج علم الكلام الجديد حتى يتحول إلى علم على منوال العلوم الأخرى، إلى تحولات أساسية في المجال الوظيفي ومسائل البحث أولاً، وفي منهج الاستدلال ثانياً، وفي المباني التي يقوم عليها الاستدلال ثالثاً، ويحتاج أخيراً إلى تحول في الهدف، ويشير أحد الباحثين المعاصرين في حديثه عن بواعث تجديد علم الكلام،

إلى ما آلت إليه أوضاعنا بقوله: ((فواقعنا متأزم إلى درجة الاختناق، وحياتنا ذل وعار من الاحتلال، ووجودنا كله مهدد بالفناء، والأرض ضائعة، والناس سكارى باللهو، منتشية بالغناء والرقص، والروح تضمر))[٤٩]، وفي ظل واقع كهذا أضحى الإيمان ((في الجزء الأعظم من المسلمين عقيدة باهتة، فقدت عبر عصور الانحراف كثيراً من اتقادها وشعلتها، وبخاصة بعد أن دخل العالم الإسلامي عصر الاستعمار))[٥٠]، وفي ظل ذلك انطلقت تباشير ممارسة كلامية جديدة، مع بواكير المشاريع الإصلاحية ودعوات إحياء الدين، التي انبثقت في العالم الإسلامي واقترنت بأسماء رموز واضحة، مثل السيد جمال الدين الأفغاني، ومحمد إقبال، ومحمد عبده، ورشيد رضا، ومحمد جواد البلاغي، ومحمد حسين كاشف الغطاء، وهبة الدين الشهرستاني، وعبد الحسين شرف الدين، ومحسن الأمين العاملي، وغير هؤلاء من الأقطاب العلمية والفكرية، ثم جاءت التحولات العلمية الجديدة لتصب بمعطياتها بما يخدم ويعزز ويجدد المنهج الكلامي الذي راح يفيد من المناهج العلمية في الاستدلال، إلى جوار طريقة الجدل واصطناع الأقيسة التي أخذها عن المنهج الأرسطي، ويمكن تحديد التحولات والمحاسن التي طالت علم الكلام الإسلامي الجديد، بالآتي:

أولا: المسائل والموضوعات: إذ راحت التحولات الجديدة تتناول مشكلات المسلمين، ولاسيما الشبهات التي طرأت على العقل الإسلامي بعد الاحتكاك بالغرب، ونمو المعرفة العلمية وازدهارها، وكمثال على هذا الخط يمكن أن نلحظ رسالة جمال الدين الأفغاني في (الرد على الدهريين)، التي جمع فيها المنطق الاجتماعي إلى جوار المنطق الفلسفي، وربما لأول مرة في الأزمنة الإسلامية الحديثة، فقد تحدث عن المادية أو الدهرية أو الطبيعية التي تنتهي بالضرورة إلى ((إفساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية)) [٥١]، ويمكن الإشارة لأعمال محمد عبده، عن النبوة ، وبالذات كتابه (رسالة التوحيد)، وكتابه الأخر (الإسلام

والنصرانية مع العلم والمدنية)، فقد سعى رغم منهجه المنطقي إلى تحريك معطيات التوحيد في واقع الإنسان وحركة المجتمع ، فقرأ التوحيد، توحيداً للمجتمع وأخوة بين أفراده، في مقابل الشرك الذي رأى فيه الفرقة والتمزق الاجتماعي، إلى غير ذلك من الأفكار التي اتسمت بطابع تجديدي[٥٢]، ثم تأتي بعد ذلك الأعمال الرائدة لمحمد جواد البلاغي، في مناقشة اتجاهات التشكيك العقائدي الآتية للتبشير بالدين المسيحي، كما فعل في كتبه (الهدى إلى دين المصطفى)، و(الرحلة المدرسية)، و(الرسالة في التثليث)، وغيرها مما كان الباعث إليه حماية الكيان الاجتماعي للمسلمين، عبر البناء العقائدي السليم ومواجهته سيل الشبهات المستحدثة، ويمكن الاستشهاد أيضاً بكتاب رشيد رضا (الوحي المحمدي)، وما فعله حسين الجسر، حين ناقش الداروينية في كتابه (الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية)، وكتابه (الحصون الحميدية للمحافظة على العقيدة الإسلامية).

كما يندرج في السياق التجديدي ذاته، ما كتبه الشيخ طنطاوي جوهري، والشيخ محمد جمال القاسمي، صاحب كتاب (دلائل التوحيد)، وغيرهما مما يشير إلى تطور هذا المعنى والمنحى، وتحول الكتابة صوب الإسلام في عقائده وتشريعه ومفاهيمه، وما يُثار حوله من شبهات، وهذه الأمثلة تدل على أن علم الكلام الإسلامي أحرز شيئاً من التقدم على طريق تخطي مسائله القديمة، ووسع دائرة اهتمامه لتشمل تحولات الواقع الجديد.

ثانياَ: التحولات في أسلوب الاستدلال: وفي هذا المجال نجد أن الممارسة الكلامية راحت تتوسل بالعقل ومعطيات العلم الجديد لتعضد به النقل، وتؤكد أحقية العقيدة الإسلامية، وعدم تعارضها مع العقل والعلم الحديث، وهذه المهمة تتطلب من المتكلم المعاصر أن لا يكتفي بأن يتسلح

بثقافة إسلامية عميقة وحسب، بل عليه أن يتزود أيضاً بمعرفة منفتحة على علوم العصر، لما هنالك من ترابط بين أفق الكلام المعاصر ومهامه، وبين التيارات الفكرية والمعرفية السائدة[٥٣].

ثالثاً: التحول في منهج تفعيل العقيدة: وذلك انطلاقا من التقليل بحسب المستطاع من طابع الجدل والنقض ولإبرام، وحشد الأدلة على إثبات عقائد الإسلام، والاتجاه صوب محاولة تفعيل العقيدة في نفوس المسلمين، عبر استثارة الطاقة الإيمانية المكنونة فيها، عبر تأكيد المدلولات النفسية والاجتماعية لعناصرها.

لا شك أن تلك الأعمال صدرت وأصحابها يستشعرون حاجة واقعهم إلى التجديد، والذي يمارس الواقع ويتعاطى مع متطلباته الفكرية لا يعنيه كثيراً تأطير عمله بمصطلح جديد، أو تنظيره في مشروع وما شابه ذلك، بل هي مهمة القراءة التحليلية والنقدية فيما بعد، التي تعود لتصف تلك الأعمال ثم تحللها وتخضعها إلى النقد من هذا المنطلق، وربما يخطر ببال أولئك الرواد أنهم يصنعون بدايات تحول صوب علم كلام جديد، وبالتأكيد لم يكن يشغلهم الاصطلاح ولا يعنيهم من قريب أو بعيد [٥٤].

موضوع علم الكلام الجديد ورسالته:

على الرغم من الكلام الكثير الذي حاول بعضهم أن يسوقه حول موضوع علم الكلام[٥٥]، فإن الأقرب إلى ذوق هذا العلم في انطلاقاته ومسيرته خلال قرون، أن يكون موضوعه العقيدة الإسلامية بمكنوناتها الأساسية والفرعية[٥٦]، وفق نظرة يأخذ بها بعض الباحثين المعاصرين، منهم مرتضى مطهري، وتحمل الكثير من التسامح في تجديد الموضوع، إذ ترى إمكان تنوعه وامتداده من دون أن تلمس حاجة لحصره والتضييق عليه، فإذا كانت هناك وحدة واقعية بين مسائل العلم فتصح عندئذ نسبته إلى موضوع واحد، أما إذا افتقدت مسائل العلم

للوحدة الذاتية والنوعية، وحلت مكانها وحدة اعتبارية تنسج بين مسائله، فلا مانع من تعدد موضوعاته حتى تباينها، ومن ثم تداخل مسائله مع العلوم الأخرى، ما دامت وحدته الاعتبارية ناشئة عن هدف مشترك واحد كما هو شأن علم الكلام(٥٧)، وعلى هذا الأساس فليس لعلم الكلام موضوع واحد ومحدد، فهو علم واسع جداً متنوع ومتعدد، ولكن ربما يمكن القول بشيء من المسامحة أن موضوعه، هو العقائد الدينية، والعناصر الكلية العامة للثقافة والفكر الديني، من حيث حاجتها للتفسير والتبيين، وبلحاظ كونها في معرض شبهات المخالفين واعتراضاتهم ومرمى لهجومهم(٥٨)، ومن الأفضل أن نتحدث بشأن هذا العلم، عن أثاره والمهام التي ينهض بها والرسالة التي يؤديها، لنقنع بتعريف علمي حياله، أو أن نتحدث عن وظيفة المتكلمين ونقوم بتعريفه عن هذا السبيل، حيث ينهض المتكلمون بتوضيح العقائد الدينية وتفسيرها ليقبلها الآخرون، وليحثونهم ويقنعونهم بالإيمان بها، كما يقومون بدور الحراسة والدفاع عن حدود الدين وحفظ الشريعة في مقابل تهديدات الأجانب، فالمتكلمون في الحقيقة هم حراس الشريعة وحماة العقيدة والمدافعون عن الدين والمحافظون عليه، وعلم الكلام هو فعل وعمل جماعة المتكلمين وحاصل جهدهم وسعيهم في هذا المضمار.

أما في باب القاعدة التي تقول: (موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية)، فليس هناك توافق كبير في تفسير (العارض الذاتي) بين حكماء المسلمين العرفاء، وحتى علماء الأصول، كما أنه ليس هناك توافق كامل أيضاً بين علماء المسلمين حول تمايز العلوم وأثر الموضوع في هذا التمايز، فقد ذهب بعضهم إلى جعل التمايز بغايات وأعراض علم من العلوم أو بمسائله نفسها، لذلك لا نبحث هنا حول العارض الذاتي ومعانيه والقاعدة المذكورة، لأن ذلك يجرنا إلى تطويل الكلام من دون أن تكون هناك ثمرة علمية تذكر(٥٩)، ولكن يمكن أن نتصور له موضوعاً، وإن كان لا يمكن أن نطلق عليه اسم خاص، ويمكن القول على سبيل المثال، بأن العقائد الدينية هي موضوع علم الكلام، من حيث

أنها بحاجة إلى التفسير وعرضة للشبهة، وبعبارة أخرى أن المعتقدات الدينية هي موضوع علم الكلام لجهة أنها بحاجة إلى التفسير والدفاع والتوجيه، ويمكن أن تكون معرض هجوم وإثارة الشبهة والاعتراض، وهذا الذي نعرضه مجرد اقتراح يمكن أن يكون بسيطاً جداً وابتدائياً، ولكن يبقى المحور الأساسي للبحوث الكلامية، هو العقائد والمعتقدات الدينية التي تترافق مع رؤية تفسيرية واتجاه لمعرفة الشبهات والأضرار ودفعها، ومن وظائف علم الكلام معرفة الأضرار التي تلم بالدين، وهذه مسؤولية أخطر من دفع الشبهات وتحظى بمجال أوسع مما تحظى به الشبهات[٦٠].

وفي عملية معرفة الأضرار والأعراض التي تلحق الدين، لا ينبغي دفع الشبهات الموجودة وحسب، بل ينبغي أيضاً تخطي ذلك والتفكير بدفع الشبهات المحتملة والتوافر على علاج لها، فضلا عن أن البحث في جذور الأضرار لجهة التوافر على علاج مؤثر وحاسم، هو مما يقع في مهام عمل المتكلمين[٦١]، وبهذا يتضح أنه ليس ثمة حاجة للبحث عن جامع مشترك لإيجاد الصلة بين مسائل العلم، ففي الحقيقة أن عملية تبيين العقائد الدينية وتوجيهها والدفاع عنها وصد الهجوم عليها، وكذا عزم المتكلمين ونزعتهم في التفسير ومعرفة الأضرار والعوارض، هي التي تكون عامل صلة بين مسائل العلم والعنصر الذي يأخذ على عاتقه مهمة حفظ الوحدة بين مسائله، وإن الوجهة التي يتحرك بها المتكلم هي حماية الدين والشريعة، من هنا كان علم الكلام علماً توصيفياً محضاً لا يخوض في البحوث المعرفية الحرة والعامة، بل هو علم موجه مبدئي يضطلع برسالة محددة، بحيث اختطت جميع مسائله وجهة دفاعية قيَمية تنهض بتعيين الحق والباطل، وبالحفاظ على هذه السمة والتوجيه الخاص، تكتسب مسائله حيزها في الطرح داخل هذا النطاق[٦٢]، وإن البحث في اللغة الدينية ومسائلها، هو من الأمور المهمة النافعة لعلم فلسفة الدين لا لعلم الكلام، والعارفون بهذه البحوث يدركون المكانة المرموقة والأهمية الرفيعة التي تحظى بها لغة الدين في

عصرنا، من بين المسائل الأخرى المرتبطة بقسم فلسفة الدين، ويمكن للمتكلم أن يخوض في مجال لغة الدين ويدلي برأيه أيضاً، بيد أنه يفعل ذلك بأسلوب المتكلمين ويقصد التوجيه والدفاع، لأن وظيفة التبيين في علم الكلام، هي وظيفة تمهيدية وفرعية وليست متصلة ومطلوبة بنفسها مباشرة.

الخاتمة:

بعد استقراء علم الكلام القديم، تبين أن العقيدة الإسلامية قد مرت في ظله بظروف قاسية مازال المسلمون يئنون من أثقالها ويتحملون تبعاتها، ويمكن إيجاز ذلك بما تركه علم الكلام القديم من سلبيات على الواقع الإسلامي، لكن هذا لا يعني عدم وجود جوانب مشرقة فيه، فعلى عاتق المتكلمين وقعت مسؤولية التصدي للشبهات المثارة من قبل الملحدين أو الوافدة من خارج حدود الدولة الإسلامية عن طريق الترجمة، كما ساهم المتكلمون في إغناء الفكر العقائدي بالأدلة والبراهين اللازمة لتثبيت أركان العقيدة فكرياً، أما أهم السلبيات التي رافقت علم الكلام القديم فهي:

١- زحف الجدل المحتدم حول المسائل العقائدية المطروحة، ليقطع خيوط التواصل بين العقيدة والحياة الاجتماعية، فعقيدة التوحيد التي كان يعيشها الإنسان المؤمن في بدايات البعثة النبوية الشريفة، ممارسة حياتية يومية تطبع سلوكه وأخلاقه، صارت تدور في مدارات عقلية بعيدة عن هموم الحياة ومتطلباتها، بينما راح كل متكلم يحشد الأدلة والبراهين لنصرة ما يعتقد به سلفاً، حول القضايا والمسائل العقائدية المطروحة، متكئاً على البراهين والأقيسة الأرسطية في المنطق، وانتقلت عدوى الجدل لجميع المعنيين، حتى غدت المواجهات الكلامية ديدن البارزين من العلماء والمتكلمين.

٢- إن هشاشة علم الكلام من الناحية العلمية، ساعدت على نفوذ الأهواء السياسية إليه، لتصنع منه أداة تحمي السلطان وتعزز موقعه داخل الأمة،

ففكرة الجبر والإرجاء وفاعل الكبيرة، جاءت لتبرر عمل السلطان وتشرعن ممارساته التعسفية، فأصبحت مهمة علم الكلام إطفاء وهج العقيدة وفاعليتها في نفوس الناس، خلافاً للهدف الذي وضعه العلم أمامه، كما تقاعست الأمة عن أداء وظيفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من دون أن تشعر بثقل الذنب الكبير المرتكب.

٣- كان نشوء علم الكلام إيذاناً لتأسيس الفرق وتعميق الخلاف بين المذاهب الإسلامية، فقد تخندقت الفرق حول نفسها، ووظفت عدتها وعتادها لتحصين مواقعها الدفاعية، وشن حملات قاسية على الفرق الثانية، واستبدلت لغة الحوار بتراشق عنيف يستهدف القضاء على خصمها الذي صنعته بيدها، ولهذا صار الكيان الأخر هو المقصود بالذات من دون الأفكار.

٤- أُسقط الإنسان عن معادلة المتكلمين، وأُهمل عنصر الحياة الاجتماعية الفاعل من دون أن يُلتفت إلى حاجاته وتطلعاته، فهجرته العقيدة وأخذ يشق طريقه بمعزل عنها، خلافاً للمنهج القرآني الذي أراد أن تكون العقيدة موجهاً للإنسان في سلوكه وممارساته، فأصبح الإنسان إنساناً مزدوج الشخصية، وشخصيته موزعة على مساحتين، مساحة العقيدة ومساحة الحياة الاجتماعية، ولا علاقة لأحدهما بالأخرى، ولم يلتقيا إلا في نقاط التقاطع.

وعلى هذا الأساس ينبغي الالتزام في علم كلام جديد، بخطوات أساسية على صعيد القضايا والمسائل العقائدية المطروحة، أهما:

١- إعادة النظر بالمفردات المطروحة للمناقشة من الناحية العقائدية، للفصل بين ما هو ممكن، وما هو ممتنع في نفسه، أما لقصور العقل البشري عن إدراكه، أو عدم وجود أدلة كافية عليه، فتصبح تلك المواقع خطوطاً حمراء، لتحاشي

الوقوع في متاهات فكرية لا حدود لها، وإيقاف استنزاف العقول بالبراهين والحجج، ما دام نزوع الإنسان للإيمان نزوعاً فطرياً.

٢- التخلي عن الجدل والتراشق بالألفاظ، ومنهج التكفير لكل من لا يتفق مع غيره في العقيدة، وينبغي أن يكون الدليل والعقل هو الرائد، وبهذا فقط ينقطع الطريق على النوازع الشيطانية الكامنة في النفس البشرية.

٣- اعتماد المنهج القرآني في دراسة العقيدة، والإفادة من البراهين العقلية والفلسفية، والتخلي عن الأحكام المسبقة والآراء القطعية عند دراستها، وتبني الأفكار والعقائد التي يفضي إليها الدليل

٤- إدخال الإنسان طرفاً في المعادلة، وعدم إهمال تطلعاته المستجدة، ليعيش التوحيد خلال ممارساته الحياتية، ويتخلى عن عقيدته الطقوسية.

٥- إبقاء العقيدة حية وفاعلة في النفوس، من خلال استشعار الإنسان بوجود الله تعالى، فليس الأزمة العقائدية في إثبات الخالق ﷻ، وإنما في استشعار وجوده، لذلك نشاهد الإنسان يرتكب المعصية مع إيمانه بالله ﷻ.

٦- تقديم أجوبة كافية للتحديات التي تواجه العقيدة والفكر الإسلاميين، مع مراعاة التطورات على صعيد العلم والتكنلوجيا، وثورة المعلومات الممتدة في جميع البلدان، وما أعقبها من تحولات على مستوى الثقافة، وموقف الإنسان المسلم بتساؤلاته المستجدة في ظل الواقع القائم.

٧- عدم الجمود على فهم السلف للعقيدة الإسلامية، فلكل زمان ظرفه، وفهم السلف السابق كان يتناسب مع حاجاتهم الفكرية والعقائدية، ولهذا الظرف تطلعاته وتحدياته، والعقيدة الإسلامية معين لا ينضب، ويمكن إعادة قراءتها وفهمها في إطار الواقع والهموم الحالية والمستقبلية.

٨- السماح بالاجتهاد وتبادل وجهات النظر في مفردات العقيدة، كما هو الحال في الفقه وأصوله، والكف عن منهج القبول بالتسالم، الذي لا يفضي إلى العلم ولا يكشف عن وجود حجة شرعية، والإفادة من معطيات العلوم في

فهم العقيدة، مع دراسة تأريخ كل مفردة من مفرداتها في ضوء المنهج العلمي، لفرز ما هو من الإسلام وما هو غريب عن فضائه، وفي ذلك ضمان لديمومة العقيدة وسلامتها وحيويتها.

ملخص البحث

علم الكلام نشأته إسلامية صرفة، لم تتأثر بالحضارات الأخرى، إذ انبثق بقواعده الأولية قبل مرحلة الاحتكاك الفكري والثقافي مع الحضارات التي نفذت لحياة المسلمين، وانطلق ليمثل العلم الذي يمكن بوساطته إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج ودفع الشبهات، وعلى الرغم من وجود الجوانب المشرقة في علم الكلام القديم، المتمثلة بالتصدي للشبهات المثارة من قبل الملحدين في الداخل، أو الوافدة من الخارج عن طريق الترجمة، ومساهمة المتكلمين في إغناء الفكر العقائدي بالأدلة والبراهين اللازمة لتثبيت أركان العقيدة، إلا أن العقيدة الإسلامية مرت في ظل علم الكلام القديم بظروف قاسية، تمثلت بما تركه من سلبيات على الواقع الإسلامي، منها: زحف الجدل المحتدم حول المسائل المطروحة ليقطع خيوط التواصل بين العقيدة والحياة الاجتماعية، كما أن هشاشة علم الكلام من الناحية العلمية ساعدت على نفوذ الأهواء السياسية إليه لتصنع منه أداة تحمي السلطان وتعزز موقعه، وكان نشوء علم الكلام إيذاناً بتأسيس الفرق وتعميق الخلاف بين المذاهب الإسلامية، وقد أُسقط الإنسان عن معادلة المتكلمين، وأُهمل عنصر الحياة الاجتماعية الفاعل من دون أن يُلتفت إلى حاجاته وتطلعاته.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى تأسيس علم الكلام الجديد، وهو مشروع تضافرت في تطويره جهود فكرية وعملية، أسهم فيها كثيرون من أعلام المسلمين في العصر الحديث، ومر بأزمنة اتسمت الآثار الكلامية فيها بسمات ميزتها عن الأعمال السابقة واللاحقة، منها: إحياء علم الكلام، وتجديده، والتأسيس

المنهجي له، وقد شهد علم الكلام الجديد تحولات، في المسائل والموضوعات، وأسلوب الاستدلال، ومنهج تفعيل العقيدة، وينبغي الالتزام في علم الكلام الجديد، بخطوات أساسية على صعيد العقيدة الإسلامية، منها: إعادة النظر بالمفردات المطروحة للمناقشة من الناحية العقائدية للفصل بين الممكن والممتنع، والتخلي عن الجدل والتراشق بالألفاظ وتكفير من لا يتفق مع غيره في العقيدة، واعتماد المنهج القرآني في دراسة العقيدة، والإفادة من البراهين العقلية والفلسفية، وإدخال الإنسان طرفاً في المعادلة وعدم إهماله، وإبقاء العقيدة حية وفاعلة في النفوس من خلال استشعار وجود الله تعالى، وتقديم أجوبة كافية للتحديات التي تواجه العقيدة، مع مراعاة التطورات العلمية المذهلة، وعدم الجمود على فهم السلف للعقيدة، والسماح بالاجتهاد وتبادل وجهات النظر، والكف عن منهج القبول بالتسالم، الذي لا يفضي إلى العلم ولا يكشف عن وجود حجة شرعية.

Abstract

Knowledge of Speech is science of a purely Islamic origin that has not been affected by the presence of other sciences. It emerged with its basic principles before the period of mixing between culture and ideas and sciences that served the lives of the Muslimeen. It served as a means to establish other religious sciences with the presenting of proofs and the refusal of doubts. In addition to that, other sides of the Knowledge of Speech that enlighten, characterized by challenging the non-believers inside of Islam or what comes from the outside by way of translation. There is also the share of the scholars of the knowledge of speech in adding ideas to the creed with proofs to establish the main ideas of the creed. The Islamic creed has moved in the shade of the Knowledge of Speech through difficult circumstances. This was embodied by leaving off what was negatively affecting the Islamic community. The fragility of the Knowledge of Speech from the scientific point of view was used as a tool to help shape the political atmosphere to protect the rulers.

هوامش البحث

(١) الزخرف / ٨٧.
(٢) إبراهيم / ١٠.
(٣) الروم / ٣٠.
(٤) ظ: الأنعام / ١٤؛ يوسف / ١٠١؛ فاطر / ١؛ الزمر / ٤٦؛ الشورى / ١١.
(٥) ظ: الصدوق محمد بن علي، التوحيد، ٤١؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥٢.
(٦) ظ: الصدوق محمد بن علي، التوحيد، ٤٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦٣.
(٧) ظ: الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، كتاب التوحيد، ١ / ٥٩.
(٨) إحصاء العلوم ، ٧١.
(٩) المقدمة، ٤٥٨.
(١٠) المواقف، ١٩.
(١١) شرح المقاصد، ١٦.
(١٢)الفضلي عبد الهادي ، خلاصة علم الكلام، ٩.
(١٣) ظ: دي بورت، تأريخ الفلسفة في الإسلام، ٨٤.
(١٤) ظ: الشهرستاني، الملل والنحل، ١ / ٤٧.
(١٥) ظ: التهاوني محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ٢٩.
(١٦) ظ: شرح العقائد النسفية، ٥-٧.
(١٧) تمهيد لتأريخ الفلسفة، ٢٦٧.
(١٨) م . ن، ٢٦٨.
(١٩) عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، ١ / ٢٢.
(٢٠) الكليني محمد بن يعقوب، الكافي، كتاب التوحيد، ١ / ٥٩.
(٢١) ظ: ضحى الإسلام، ٣ / ١٠.
(٢٢) ظ: الشهرستاني، ١ / ٢.
(٢٣) ظ: علي أرجبي، الكلام الجديد في معرض الرؤى والأفكار، ١١.
(٢٤) حسن حنفي، التراث والتجديد، ١٥٥.
(٢٥) السبحاني جعفر، الشيعة وعلم الكلام، ٣١.
(٢٦) الطباطبائي محمد حسين، رسالة التشيع، ١١٥.

(٢٧) ظ: جعفر آل ياسين، فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي، ٦٦-٦٧.
(٢٨) الطباطبائي محمد حسين، رسالة التشيع، ١١٣.
(٢٩) ظ: م . ن، ٨٣ .
(٣٠) ظ: م . ن، ١١٤-١٢٢.
(٣١) ظ: طاش كبرى زادة، مفتاح السعادة ، ٢ / ٣٧.
(٣٢) ظ: ابن خلدون، المقدمة، ٣ / ١٠٤١.
(٣٣) ظ: م . ن ، ١ / ٤٥٨.
(٣٤) ظ: مصطفى مليكان، مقترح لدفاع عقلاني عن الدين، مجلة نقد ونظر، العدد الرابع، السنة الثانية، ٣٦.
(٣٥) ظ: السبحاني جعفر، الشيعة وعلم الكلام، ٤٥.
(٣٦) ظ: مصطفى مليكان، مقترح لدفاع عقلاني عن الدين، مجلة نقد ونظر، العدد الأول، السنة الثالثة، ٢٥.
(٣٧) ظ: م . ن، ٤٣-٤٤.
(٣٨) النعماني شبلي، علم الكلام الجديد، ٤٢.
(٣٩) وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ٢٤.
(٤٠) ظ: ظفر الإسلام خان، الإسلام والعصر الحديث، ٥٠-٦١.
(٤١) ظ: مرتضى مطهري، الوظائف الأساسية والوظائف الفعلية للحوزات العلمية، ٤٩.
(٤٢) فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، ١٩٥.
(٤٣) ظ: الترابي حسن عبد الله، قضايا التجديد، ١٩.
(٤٤) ظ: م . ن ، ٢٠.
(٤٥) ظ: الصدر محمد باقر ، موجز في أصول الدين، ٤٥-٤٧.
(٤٦) ظ: عبد الكريم سروش، قبض وبسط الشريعة، ٥١.
(٤٧) ظ: رضا داوري، دفاع عن الفلسفة، ٧٧.
(٤٨) ظ: فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث،٤٠.
(٤٩) حسن حنفي، التراث والتجديد، ١٣٨.
(٥٠) محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ١٩٣.
(٥١) الأفغاني جمال الدين، الرد على الدهريين، ١٣٣.

(٥٢) ظ: فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، ١١٣.
(٥٣) ظ: م . ن، ١٨٩.
(٥٤) ظ: م.ن ، ١٩١.
(٥٥) ظ: علي أرجبي، الكلام الجديد في معرض الرؤى والأفكار، ٣٧.
(٥٦) ظ: مرتضى مطهري، التعرف على العلوم الإسلامية، ٣ / ١٦.
(٥٧) ظ: علي أرجبي، الكلام الجديد في معرض الرؤى والأفكار، ٣٨ .
(٥٨) ظ: مرتضى مطهري، التعرف على العلوم الإسلامية، ١٦ .
(٥٩) ظ: الفضلي عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، ٩.
(٦٠) ظ: م. ن، ١١.
(٦١) ظ: م. ن، ١٥ .
(٦٢) ظ: السبحاني جعفر، الشيعة وعلم الكلام، ٢٠ .

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد أمين،ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
٢- الأفغاني جمال الدين الحسيني، الرد على الدهريين، ترجمة محمد عبده، نشر في كتاب الهلال، بقلم محمد عبده، مكتبة لبنان، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.
٣- الأيجي القاضي عضد الدين، المواقف، تحيق علي الحسيني الميلاني، منشورات الشريف الرضي، قم، ط٢، ١٤١٣هـ.
٤- الترابي حسن عبد الله، قضايا التجديد نحو منهج أصولي، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، الخرطوم، ط١، ١٤١٥هـ.
٥- التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي، شرح العقائد النسفية، قم، طبعة حجرية، ١٣٠٤هـ.
٦- التفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله الهروي، شرح المقاصد، قم، طبعة حجرية، ١٤٠٣هـ.
٧- التهاوني محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.
٨- جعفر آل ياسين، فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي، دار الأندلس، بغداد، ط٢، ١٤٠٠هـ.
٩- ابن أبي الحديد عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق

محمد أبي الفضل إبراهيم، الطباعة والنشر دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٧٨هـ.
١٠- حسن حنفي، التراث والتجديد، بيروت، ط٤، ١٤١٢هـ.
١١- ابن خلدون عبد الرحمن بن أبي بكر الحضرمي (ت٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ.
١٢- دي بور، تأريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ.
١٣- رضا داوري، الدفاع عن النفس، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٤- السبحاني جعفر، الشيعة وعلم الكلام عبر القرون، مؤسسة الإمام الصادقعليه السلام، قم، ط٢، ١٤١٦هـ.
١٥- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد بدران، القاهرة، ط٣، ١٤٧٩هـ.
١٦- الصدر محمد باقر، الإسلام يقو د الحياة، وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط٢، ١٤٠٣هـ.
١٧- الصدر محمد باقر، موجز في أصول الدين، تحقيق عبد الجبار الرفاعي، دار سعيد بن جبير، قم، ط٢، ١٤١٧هـ.
١٨- الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)،التوحيد، تحقيق هاشم الحسيني الطهراني، الطباعة والنشر مؤسسة النشر الإسلامية، قم، ط١، ١٣٩٨هـ.
١٩- طاش كبرى زادة عصام الدين أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة، طبعة حيدر آباد الدكن، قم، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٠- الطباطبائي محمد حسين (ت١٤٠٢هـ) التشيع في العالم المعاصر، ترجمة جواد علي كسار، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢١- الطباطبائي محمد حسين، الشيعة، نص الحوار مع المستشرق كوربان، ترجمة جواد علي كسار، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، قم، ط٢، ١٤١٨هـ.
٢٢- ظفر الإسلام خان، الإسلام والعصر الحديث، دار البحوث العالمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٢٣- عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٤- عبد الكريم سروش، قبض وبسط الشريعة، المطبعة صراط، طهران، ط٢، ١٤١٣هـ.
٢٥- عبد الهادي أبو ريدة، تأريخ الفلسفة في الإسلام، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٣٧٧هـ.
٢٦- علي أرجبي، الكلام الجديد في معرض الرؤى والأفكار، طهران، ط٢، ١٤١٦هـ.
٢٧- الفارابي أبو نصر، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، ط٤، ١٣٥١هـ.
٢٨- الفضلي عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، دار الكتاب الإسلامي، قم، ط٢، ١٤٢١هـ.
٢٩- فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق، الأردن، عمان، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٣٠- الكليني محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي، (ت٣٢٨هـ)، الأصول من الكافي، دار الكتاب الإسلامية، المطبعة حيدري، طهران، ط٤، ١٤١٧هـ.
٣١- مرتضى مطهري، التعرف على العلوم الإسلامية، الناشر صدرا، قم ، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٣٢- مرتضى مطهري، الوظائف الأساسية والوظائف الفعلية للحوزات العلمية، الناشر صدرا، قم، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٣٣- مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ.
٣٤- مصطفى مليكان، مقترح لدفاع عقلاني عن الدين، المجلة الفصلية نقد ونظر، العدد الرابع، لسنة ١٤١٥هـ.
٣٥- النعماني شبلي، علم الكلام الجديد، ترجمة محمد تقي فخر، طهران، ط٣، ١٤٢٣هـ.
٣٦- وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، تحقيق عبد الصبور شاهين، دار البحوث العالمية، الكويت، ط٦، ١٤٠١هـ.